مع انتخاب نجاد رئيسا لإيران: إستراتيجية جديدة للتعامل مع الملف العراقي!

09-7-2005

ظل الأوضاع الصعبة التي توجهها واشنطن في العراق، نتيجة عجزها عن التصدي للمقاومة الشرسة، وتصاعد ضغوط الرأي العام الأمريكي على الإدارة الأمريكية للانسحاب، أصبحت الولايات المتحدة أكثر استعدادا للتّفاوض مع إيران، وكانت تعتبر رفسنجاني هو الرجل المناسب للقيام بهذه المهمة، ولكنه خسر الانتخابات. والتحركات الأولية للرئيس الإيراني الجديد كشفت عن فهمه العميق لطبيعة الظروف الإستراتيجية التي تعاني منها العراق حالياً، فهو يدرك أن أغلبية الشيعة في العراق لديهم نفس أهدافه،

بقلم عبدالله صالح

مع تصاعد حدة المقاومة العراقية، وعجز قوات الاحتلال عن السيطرة على مقاليد الأمور، بدأت الولايات المتحدة في تعديل خططها العسكرية، باتجاه تقليل قواعدها العسكرية في المناطق الغربية والجنوبية الغربية للعراق، خاصة مع التغير الجزئي في طبيعة العلاقات الأمريكية الشيعية، مما أتاح الفرصة لطهران لتعزيز تعاونها الأمني مع بغداد، بما يدعم نفوذها وتواجدها في المنطقة، ويقلل من حجم وفعالية التهديدات الأمريكية لمصالحها.

في 6 يوليو الجاري، طلب وزير الدفاع الإيراني طلب من نظيره العراقي سعدون الدليمي، الذي كان في زيارة لطهران، لتوقيع عدد من اتفاقيات التعاون المشترك، ضرورة رفض بلاده إقامة قواعد عسكرية أجنبية على أراضيها، وبالطبع فإن تصريح المسئول الإيراني كان موجهاً للولايات المتحدة، حيث تخشى الحكومة الإيرانية الجديدة من استخدام الأراضي العراقية كنقطة تمركز للقواعد الأمريكية، بما يشكل تهديداً لأمنها. إيران طالبت أيضا بالاضطلاع بدور في عمليات تدريب الجيش العراقي الجديد.

وفي 7 يوليو، سرت إشاعات بشأن استقالة حسن روحاني المسئول الأول عن الملف النووي الإيراني، وهو ما اعتبره المراقبون إشارة إلى أن الرئيس الجديد أحمدي نجاد بدأ في تبني إستراتيجية جديدة، تتضمن استخدام كافة الأوراق المتاحة من أجل زيادة الدور الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، وبالأخص في العراق، الذي بات يعاني أوضاعاً استراتيجية هشة وغير مستقرة.

وعلى الجانب الآخر، فإن واشنطن وجدت نفسها بعد عامين من غزو العراق في وضع متناقض، فرغم أنها استطاعت أن تحقق هدفها الرسمي في الإطاحة بنظام صدام حسن وإقامة حكومة موالية لواشنطن، وبذلك أصبحت تمثل محوراً استراتيجياً مهماً في منطقة الشرق الأوسط، إلا أن التدخّل العسكري الأمريكي أدى إلى تزيد دور إيران في المنطقة، خاصة في ظل نفوذها الواسع في أوساط المسلمين الشيعة، فضلاً عن حدودها الجغرافية المترامية من بحر كاسبيان إلى باكستان، ومن الخليج إلى آسيا الوسطى، وسياستها العدائية تجاه الولايات المتّحدة منذ اندلاع الثورة الإسلامية عام 1979.

المحافظون الجدد في إدارة بوش تصوروا أن إسقاط نظام صدام حسين سيفتح الباب أمام إعادة تشكيل البيئة السّياسيّة الشرق أوسطية بما يخدم المصالح الأمريكية، وبالطبع فإن الجمهورية في طهران كانت على جدول أعمال خطة واشنطن الشرق أوسطية، والتي تستهدف بالأساس تأمين النفوذ الأمريكي بالمنطقة، ولكن الولايات المتحدة أخطأت في تقدير تداعيات غزوها للعراق على المستويين الداخلي والإقليمي.

وعلى سبيل المثال، فإن المقاومة السنية، التي تحظى بدعم الزعماء القبليين، أثبتت قدرة فائقة على التصدي لقوات الاحتلال وتكبيدها خسائر فادحة من خلال العمليات واسعة النطاق، أما الشيعة الذين يمثلون القطاع العريض من السكان، فقد أجادوا استغلال تطورات الأحداث، على نحو أتاح لهم السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد.

الانتصار الذي حققه أحمدي نجاد على منافسه هاشمي رفسنجاني في الانتخابات الرئاسية، قوبل بفتور من جانب واشنطن، الذي رأت فيه زعيماً متشدداً له أفكار متعصبة ومناهضة للغرب. وكان نجاد قد أعلن بمجرد فوزه في الانتخابات، عن عزمه استكمال برنامج إيران للتزود بالطاقة النووية، على الرغم من معارضة كل من الولايات المتحدة وإسرائيل.

وفي ظل الأوضاع الصعبة التي توجهها واشنطون في العراق، نتيجة عجزها عن التصدي للمقاومة الشرسة، وتصاعد ضغوط الرأي العام الأمريكي على الإدارة الأمريكية للانسحاب، أصبحت الولايات المتحدة أكثر استعدادا للتّفاوض مع إيران، وكانت تعتبر رفسنجاني هو الرجل المناسب للقيام بهذه المهمة، ولكنه خسر الانتخابات. والتحركات الأولية للرئيس الإيراني الجديد كشفت عن فهمه العميق لطبيعة الظروف الإستراتيجية التي تعاني منها العراق حالياً، فهو يدرك أن أغلبية الشيعة في العراق لديهم نفس أهدافه، ويطمحون إلى إنهاء الاحتلال الأمريكي للعراق، ولا يرغبون في أن تصبح أراضي العراق مرتعاً للقواعد العسكرية الأمريكية، التي تعتبرها واشنطن مسألة حيوية، للحفاظ على سيطرتها العسكرية في العراق، والحد من دور اللاعبين الإقليميين الآخرين، وفي مقدمتهم إيران وسوريا.

الحكومة الجديدة في إيران رأت أيضاً أن تصاعد المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأمريكي خلال العامين الأخيرين، جعلته يبدأ في تعديل خططه العسكرية، باتجاه تقليل قواعده العسكرية في المناطق الغربية والجنوبية الغربية للعراق، خاصة مع التغير الجزئي في طبيعة العلاقات الأمريكية مع الشيعة، الأمر الذي فتح الباب لهجوم دبلوماسي إيراني مضاد، يستهدف تقليل التهديد الأمريكي بقدر المستطاع.

وفي هذا السياق، تبدو المحادثات الجارية بين إيران والعراق، باعتبارها محاولة من جانب طهران لزيادة نفوذها وتعزيز مكانتها في الشرق الأوسط، مستفيدة من ظروف الحرب والبيئة الإستراتيجية الجديدة في العراق، الأمر الذي يشكل أكبر لتهديد لخطط واشنطون الرامية لإقامة ما تسميه بالشرق الأوسط الكبير.

وإذا كانت الولايات المتحدة لا يمكنها أن تسمح لإيران بتوسيع نفوذها في العراق أو التحول إلى قوة نوويّة خلال السنوات القليلة القادمة، فإنها تدرك صعوبة أن تقوم الآن بتوجيه ضربة وقائية ضد البنية التحتية للبرنامج النووي الإيراني، بسبب ما أنفقته من موارد باهظة في العراق، فضلاً عن انخفاض شعبية الرئيس بوش بصورة غير مسبوقة بين الشعب الأمريكي، نتيجة سياسته في الشرق الأوسط، والحرب في العراق على وجه الخصوص، ولذلك فإن هجوماً غير مباشر ضد إيران قد يكون هو البديل المناسب، وهذا ما بدأته الإدارة الأمريكية، من خلال شن حملة إعلامية عدائية ضد الرئيس الإيراني الجديد، متهمة إياه بالتورط في الهجوم على السفارة الأمريكية في طهران واحتجاز وقتل رهائن أمريكيين، فضلاً سعيها لإشعال التوترات داخل إيران بين الحكومة المركزية والأقليات العرقية الممثلة في الأكراد والعرب على وجه الخصوص، إضافة إلى الضغط على كل من روسيا والصين من أجل إجهاض البرنامج النووي الإيراني، أو عرقلة تقدمه.

للعودة للأعلى